اشعة خاصة بنور الاسلام

فينيه

293.3 : D58aAr
دينيبر - ناصر الدين
اشعة خاصة بنور الاسلام
OCT 29 F531

293.3
D58aAr

JAFET LIB.
23 JAN 1983

تذكار مودة واحاء للاخ الاستاذ الجليل احمد ناصر
من المخلص رشدي سكر
القاهرة ٢/٤/١٩٢٩
297.3
D58rA

RAYONS DE LUMIERE ISLAMIQUE

PAR NACIR ED-DIN DINET

AMERICAN UNIVERSITY OF CAIRO LIBRARY

أشعة

خاصة بنور الإسلام

تأليف

ناصر الدين دينيه

المسلم الفرنسي والمصور الشهير

68007

المطبعة السلفية - بمصر

Cat. July 1948

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

القاهرة

١٣٤٧ — ١٩٢٩

مقدّمة

هـذه الرسالة التي عرَّبناها اليوم عن الفرنسية والتي حافظنا على ترتيبها وسياقها ومعناها تمام المحافظة، هي في الأصل محاضرة ألقاها المؤلف في « جمعية الاخوة الاسلامية » بباريس Fraternité Musulmane de Paris ثم أعاد نظره عليها وأقرها كما هي الآن مع صديقه العالم السيد الفاضل سليمان بن ابراهيم في بلدة (بو سعادة) ببلاد الجزائر

وانها لخدمة جليلة أن ينشر كل ذى علم من المسلمين علمه عن دينه، بين ناكري فضله وباخسي حقه، بلغاتهم التي يفهمونها وبطريقتهم التي يجادلون بها

والرسالة موجهه الى الاوربيين فالذي يقرؤها فليقرأها على هذه الفكرة أولاً . غير أنها حوت الطريف الجليل وصدرت عن يقين حق واعتقاد صحيح . ولذلك رأى صديقه وصديقنا المسلم الغيور الاستاذ عبد الباقي بك العمري، نزيل باريس منذ

سنوات أن ينشرها بين إخوانه المسلمين من أهل لغة القرآن في جميع الأقطار . وقد كنا يومئذ بباريس فسألنا القيام بذلك و بدأناه هناك . ثم حالت الأيام دون سرعة الانجاز . ولعل هذا التأخير قد كان خيراً ، لأن ما وقع في هذه السنوات الأخيرة في العالم الاسلاميّ من التغييرات الكبيرة قد أوجب ضرورة إعادة النظر على ما كان قد كتب من قبل

واليوم ننشر الرسالة تعميما لنفعها وللاشادة بها و بفضل كاتبها ، وعرفاناً بمجهوده الطيب ، وتذكرة للمسلمين وذكرى للغافلين

وانك لتجد الكاتب واسع الاطلاع، لذلك هو صحيح الحجة ناهض البرهان . ثم هو شديد الهجوم شديد الدفاع . ذلك لأنه غيور على دينه الذي لم يتخذه الا بعد أن بحث وفكر ، وهكذا كان في عقيدته مكيناً ، وفي اسلامه كاملاً

المعادي - مارس سنة ١٩٢٩

رشيد رضا

السيد ناصر الدين دينيه

المؤلف

السيد ناصر الدين دينيه (وهو المسيو إتيان دينيه Etienne Dinet سابقاً) يبلغ من العمر اليوم سبعين عاماً مباركة وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير الفرنسيين في وقتنا هذا . وصاحب اللوحات النفيسة القيمة التي تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف الدول الأخرى . له في متحف لوكسمبرج — وهو متحف كبار المصورين العصريين — بباريس عدة صور منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف (سدني) باستراليا وغير ذلك كثير

وجميع صوره تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصحراء وتصوير حياة الصحراء كما تدل على دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وله بين إخوانه المصورين مركز خاص مشهود

وقد امتاز بتخصصه في تصوير الحياة الاسلامية ، وبالأخص في بلاد الجزائر ، حيث اتخذ له فيها موطناً في (بو سعادة) ينتقل اليه في كل سنة ليسكنه نصف العام كاملاً . وقد أقام له فيها قبراً أوصى أن يدفن فيه

وقد درس الروح العربية الجزائرية وفهمها الفهم الصحيح

وهو المصوّر الفريد الذي يستطيع تمثيلها أحسن تمثيل ، ولذلك يقولون عنه انه المصور « العربي » . وفي معجم (لاروس) الكبير ومَعْلَمة (هاشيت) للفنون الجميلة ذُكر المسيو دينيه وترجمته وأعماله

وله عدة مؤلفات : منها كتاب حياة العرب ، وكتاب السراب، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب

ومن أهم كتبه ماجعله تاريخا لحياة الرسول عليه السلام . « Mohamet » ـ وهو السيرة النبوية ـ في مجلد كبير جليل . وضعه باللغة الفرنسية مع صديقه الجزائرى الحميم السيد الفاضل سليمان بن ابراهيم . وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الاسلامية فى بلاد الجزائر و معالم الدين فيها . وطبعه طبعا غاية في الاتقان والعناية وقدّمه لارواح الجنود الاسلامية التى استشهدت في الحرب الكبرى وهى تحارب في صفوف الفرنسيين ونشره كذلك باللغة الانجليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام . والكتاب في طبعتيه قد تحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية في الدقة والابداع ، وهى اللوحات التى قام بعملها خاصة السيد (محمد راسم) الجزائري أشهر رجال الزخرفة العربية ببلاد

الجزائر [١] ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية . وانها لخدمة جليلة للاسلام والمسلمين ونبي الاسلام مشكورة مذكورة

***

وفي سنة ١٩٢٧ أعلن اسلامه رسمياً بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل برئاسة مفتى الجزائر وحضور وزير العدلية للمملكة التونسية . وطائفة كبيرة من علماء الجزائر وادبائها وأعيانها وتجارها . وقد أشهد الناس أجمعين على انه يدين بالاسلام من عشرات السنين وانه لم يجهر به الا اليوم . ويريد منهم أن يدفنوه في قبره مسلما حنيفيا . ولم يكن له من وراء اسلامه مطمع ولا مغنم اللهم إلا ارضاء يقينه واثبات صحة دينه ، وانه لم يتخذه إلا بعد بحث وتدقيق ، وانه ناقش الناصرين والطاعنين حتى علم حق اليقين أن الدين عند الله الاسلام فخرج من « دينيه » الى « ناصر الدين »

هذا هو المسلم الفرنسى ، أو الفرنسى المسلم . بل هذا هو الاخ المسلم . ولا عصبية في الاسلام . وانما المؤمنون اخوة

« يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم »

---

(١) وقد أشار الى ذلك المسيو ألازار الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحف الجزائر وذلك في المحاضرة التي القاها في النادي الفرنسى بالقاهرة يوم ١١ مارس سنة ١٩٢٩ . وهي المحاضرة الخاصة بالنهضة الفنية الجزائرية . والسيد محمد راسم يضع الآن صور كتاب الف ليلة وليلة في طبعته الحديثة التي تطبع بباريس ترجمة المستشرق الدكتور ماردروس

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

« ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين »
قرآن كريم

وصية الله لنا معشر المسلمين أن لا نعتدى على الطيبين من أهل الكتاب وهم في سلام معنا لا يعتدون . أما وأهل السوء منهم لا ينفكون يهاجموننا بالاباطيل ويحاربوننا بالمفتريات ، فليس علينا جناح بعد ذلك اذا ما أوْرينا لهم من نوع سلاحهم ودفعنا عن بيضة الاسلام بُهتانهم . فواحدة بواحدة والبادى أظلم

واذا نحن شئنا أن نحصى أكاذيبهم علينا كانت منها صفحة هى من أسْود الصفحات خِزياً في سجل التعصب . بل وجدناها مجموعة كبيرة تلك المثالب التى قام بها منهم أعداء الاسلام ، قديمهم وحديثهم ، سواء كانوا من علمائهم أو روّادهم أو قساوستهم أو رجال حكوماتهم أو كتّابهم — أمثال پيرُّون . و پلجراف . وجلادستون . ومرجليوث . وقسيس كانتربرى . والاب لامنس . والكاتب لوى برتران وسرفييه وغيرهم وغيرهم

وللرد على هؤلاء ومن هم على شاكلتهم يجب علينا أن نفعل مثل مافعلوا ، فنضع المؤلفات دفاعاً عن ديننا ، ودفعا لحجتهم علينا . ولكنالما كنانحن لانستطيع وحدنا القيام بذلك رأيناأن نقتصر على موضوع خاص نحصر كلامنا فيه على ذكر طرق الدفاع ووسائل المجابهة كما نبين ما يجب علينا عمله استعداداً للمطاعن التي قد توجه الينا من جديد

* * *

وقد نشر أخيراً المسيو (أوچين جونج) وكيل حكومة التونكين الفرنسية سابقاً كتاباً عنوانه « استعباد الاسلام ـ الحرب الصليبية الجديدة »[١] وهذا الكاتب معروف بأنه من من الكاثوليك المتمسكين بدينهم ، ولكنه معروف كذلك بأنه فرنسي من خيرة الفرنسيين . وقد أنكر في كتابه هذا في كبير شجاعة وصراحة تلك « الحرب الصليبية الجديدة » التي يقوم اليوم بها (الڤاتيكان) ذلك المركز الرئيسي المقدس حيث البابا الحبر الأعظم للمسيحية . وقد أظهر أنهم يقومون بذلك دون أن يفتّ في عضدهم مللٌ أو كلل ، أو أن ينال منهم أي تهاون أو كسل . وانما كل ذلك يقومون به من وراء ستار المداهنة وفي ثوب من الرياء يشف عما تحته

---

(١) « L'Islam sous le Joug - La nouvelle croisade. »
Par Mr. Eugène Jung. 1926

ومما جاء في كتاب المسيو جونج قوله : « اننا نهيء من اليوم مقدمات حرب دينية شديدة الفزع والهول » ثم أظهر أن مصالح فرنسا الحيوية انما هي في التفاهم والاتفاق الودي مع الاسلام . وانا لنرجو أن يكون لكلام هذا الفرنسي الكبير صدى بعيد وأثر محمود في مصلحة فرنسا والاسلام على السواء

* * *

ومن كبائر المطاعن التي يوجهها علماء النصرانية للاسلام نكرانهم عليه الابتكار والاتيان بالجديد ، والابداع بما هو خاص به ، وكثر ما ترددت هذه القولة على ألسنتهم . على أننا لا يدهشنا أن نسمعها من المتعنتين ، وانما يدهشنا أن يصدقها النفر الذين يحسنون الظن بديننا . وقد نقيم لهم المعاذير في ذلك لسوء ما يقال لهم ، وقليل ما يعلمون عنا . لهذا وذاك رأينا أن نأتي لهم بما جاء به الاسلام خاصاً به وحده وما امتاز به دون غيره — تلك « هي الأشعة الخاصة بنور الاسلام » يبعثها الله نوراً وهدى وذكرى للعالمين

* * *

يقول أنصار الصليب « تعرف الشجرة بثمرها » كما جاء في الانجيل . ويتخذون من هذه الآية ما يدعوهم الى الحط من قدر الاسلام ، مع أنهم لا يعرفون حقيقة ثماره . ثم يجعلون منها سبباً يرفع من قدر المسيحية . مع أنهم يقدرون ثمارها أكثر من حقيقة قدرها

على أنها حجة غريبة فقد يكفي أن تختلف وجهة النظر في تقدير تلك الثمرات اختلافاً معارضاً حتى يحطوا من قدر ما يشاؤن الحط من قدره . لذلك لا ينزلون بمقام الحضارة الاسلامية وحدها وانما يتمادون في تعصبهم فيضيفون كذلك في حطة القدر !! كل الحضارات الأخر كالصينية والهندية والاشورية والمصرية واليونانية وغيرها وغيرها

ثم هم ينظرون الى سان لوي St. Louis كأنه النموذج الاعلى للثمرة المسيحية الناضجة . غير أن الوثائق التاريخية تثبت بوضوح وسهولة ان خصمه صلاح الدين الايوبي كان أرفع منه قدراً في الحضارة وفي الشجاعة وفي معاملة الخصوم

وقد ذكر السير دو جوانفيل في مذكراته [١] ان المسلمين عند ما أصلوا يوماً بنيرانهم الحامية رجالَ سان لوي « ذهب هذا اليهم من ناحيته وخر ساجداً ورفع يديه نحو السماء وهو يبكي وينتحب ويقول : مولاي ، احمني ورجالي ... » ولعمري ماذا كان يفعل لو أنه كان في أحد خنادق ڤردون في الحرب الكبرى أمام السادة الالمان !!

ثم انهم يفخرون بالعالم (پاستور) الفرنسي ويجعلونه درة في تاج الحضارة الحديثة . ولكن فاتهم ان (جابراً) و (الرازي) لا يقلان عنه في مرتبة العلماء والمفكرين ، وهما المؤسسان الحقيقيان لعلم الكيمياء بفضل ما كشفاه من طرق التقطير ومن

---

(١) Memoirs du Sire de Joinville.

الكحول ومن حمض النتريك وحمض الكبريتيك وماء ملكة.

***

ومما لا نزاع فيه ان التربة والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعّال في نشأة الأمور وحياتها. وان الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خبيثة تخرج ثمراً أضعف مما تخرج الشجرة الخبيثة التي تنبت في أرض طيبة. كذلك كان الشأن مع المسيحية: فهي وان ظهرت انها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاليمها دون غيرها، بل ان مرجع ذلك هو الى ما تستفيده من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء «الغربيون». ومن الغريب ان أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود، أو من الملاحدة والمعطلين، أو المشركين. بل ان منهم من حاربتهم المسيحية واضطهدتهم. خذ مثلا (جاليلة) الفلكي الايطالي و (اتين دوليه) الكاتب الناشر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا ضحية التعصب الذميم

وأمر غريب آخر. ألم تجد الأمم الاوربية التي تأصلت فيها المسيحية ان الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على ممتلكاتها ومستعمراتها؟

***

على انه ما لنا ولذلك، ولنرجع الى موضوعنا. فانه مما لا شك فيه ان في الاسلام بعض المباديء الموجودة في اليهودية وفي المسيحية. ولكن ليس هذا بالأمر الشائن. فان الاسلام مدين

في ذلك الى نفس المورد الاصلي و المنبت الأول للأديان الثلاثة كلها — تلك شريعة ابراهيم أبي اسماعيل جد العرب - وهي الشريعة التي أخذ عنها موسى وعيسى . والأمر بيِّن واضح لمن شاء ذلك بان يرجع الى ما جاء به القرآن من الآيات الخاصة بابراهيم عليه السلام

وينكر محمد صلى الله عليه و سلم كل النكران أنه آخذ من اليهودية أو المسيحية . وانما يقول ان الدين واحد من الأزل وهو دين آدم أبي البشر . وعلى ذلك هو لم يأت بدين جديد . وغاية الأمر أن وظيفة الأنبياء والمرسلين أمثال ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد هي إصلاح ما أفسده البشر من دين الله الواحد الأحد الفرد الصمد

ذلك أمر واضح في الانجيل كما هو واضح في كتب الشرق القديمة المقدسة الهندية والاشورية والمصرية وغيرها . فان التعاليم الدينية و الوصايا النفسية القيّمة واضحة هنالك تمام الوضوح

وهكذا لم تحمل الينا الأديان شيئاً جديداً في صلب الامور وانما هي قد أخذت التعاليم التي يرجع عهدها الى أبعد العصور الخالية ثم عملت على تبيينها وتوضيحها . أو انها وفّقتها وطبقتها على زمانها ، وجعلتها صالحة لعصورها التي جاءت لها (١)

ومن أوضح الأمثلة وأظهرها وأشهرها على هذا التبيين والتوضيح والتطبيع الذي تقوم به الأديان هو ما جاء على لسان

---

(١) " Le Grand Secret " - Par Maèterlinck.

المسيحيين مما أعجب به الملاحدة أنفسهم. تلك هى الأقوال المأثورة والوصايا الغالية التي تعد من كنوز المسيحية. قوله: ان لا تقتص لنفسك، وأن تحب جارك كما تحب نفسك وأن تعد الغريب الذي في أرضك كأنه منك، وأن تحبه كما تحب نفسك

على ان هذه الكلمات الحكيمه فضلا عن ذلك ليست خاصة بانجيل عيسى كما يدعى المسيحيون. وانما هي خاصة بتوراة موسى (خروج: الاصحاح التاسع عشر ١٨ — ٣٤) وأما عيسى فانه أعادها بنصها (مرقص: الاصحاح الثاني عشر ٣١) كما ذكرها أكثر من مرة في «عظة الجبل» وان لم تكن في مثل أسلوبها الراقي (متى: الاصحاح الخامس ٣٨ — ٤٤)

***

ولنرجع ثانية الى موضوعنا فنقول ان الشخصية التي حملها محمد بين برديه كانت خارقة للعادة وكانت ذات أثر عظيم جداً حتى أنها طبعت شريعته بطابع قوي جعل لها روح الابداع، وأعطاها صفة الشيء الجديد. وتلك هي الامم الاسلامية على اختلاف جنسياتها وبلدانها قد طبعها الاسلام بطابعه الواضح المحسوس. بل ان آثاره لا تزال باقية في أهل أسپانيا وان كانوا قد ارتدوا عنه منذ خمسة قرون

على أن المجادلين لنا في ديننا والطاعنين والطامعين كلما أرادوا الطعن فينا يتساءلون عما جاء به الاسلام جديداً مما هو ليس في دين المسيح، وينذرون فيقولون اذن ليس لدينكم من حق في

الوجود . كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا

ان للاسلام عقيدة التوحيد الالٰهية العليا ، وله تلك المباديء السامية التي تقوم على تلك العقيدة . ومع العلم بوجاهة هذه المباديء وتفرُّدها في نوعها ودلالتها على الابداع ، فاننا لا نُدخلها فى جدلنا خشية التطويل وخيفة الملل من البحث في أمر بديهي . وانما نقصر قولنا هنا على ما نذكره من المسائل والكليات التي سيأتي ذكرها ، معتمدين في ذلك على ما جاء منهـا فى القرآن والحديث ، مكتفين بها للاشادة بدين الاسلام ، مطالبين بدورنا من خصومنا أن يدلونا عليها في الانجيل أو فى أي كتاب مقدس آخر ان كانوا صادقين

فنقول :

أولا — المعجزات

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في اتمام رسالته على المعجزات . وليست عمدته الكبرى الا بلاغة التنزيل الحكيم . وفي ذلك يقول تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذَّب بها الأولون »

ويقول (رينان) الكاتب الفرنسي الشهير فى صدد كلامه عن عيسى ومعجزاته « لعل أكبر معجزات عيسى أنه لم يفعل منها شيئاً » ثم هو يقول باستحالة أمثال هذه المعجزات لمخالفتها لقواعد التاريخ وأصول علم النفس

وقد نسي رينان أن محمداً ﷺ مع عدم اعتماده على مثل

هذه المعجزات التي ينكرها قد جاء بأكبر المعجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها ، جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أنصاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرناً حتى بلغوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون

على أن المعجزات التي تنسب الى محمد ليست من نصوص القرآن ، وانما قد نسبها اليه مؤرخو العصور المتأخرة تقليداً للمعجزات التي تنسب الى المسيح ، فهي ليست من الدين في شيء

وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شيء مما عرف عن رسول الله ذاته صلى الله عليه وسلم . فقد جاء في الأثر أنه لما مات ابراهيم حزن عليه محمد حزناً عظيما . وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها لمعجزة يا محمد فقد شاركتك الشمس في حزنك على ولدك . ومع أن النبي كان مأخوذاً بالحزن الشديد فقد أنَّب القائل وقال «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته »

***

وأما عن مناسك الحج وما الى ذلك مما يخصُّ الحجر الاسود الموضوع في جدار الكعبة في إحدى زواياها فذلك أن هذا الحجر وضع في مكانه هذا كي يكون علامة الابتداء عند بدء الطواف حول الكعبة . وقد أبقاه الرسول ولم يطرحه ظهرياً لأنه نظر في ذلك الى احد مقاصده السياسية ، كما أنه رضي أن

يقبله . على أنه فعل ذلك وهو يقول على ملأ الشاهدين ممن حضروا معه يومئذ : إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع

وكان أبو بكر وعمر بن الخطاب عند بدء طوافهما يقولان كما قال الرسول ويضيفان فيقولان : لولا أن رسول الله قبلك ما قبلناك . .

ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم الى يومنا هذا

***

ثانياً — التسامح والرفق في الدين

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الاخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين . جاء الى الرسول أحد بني سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يارسول الله ان لي ولدين مسيحيين يأبيان الدخول في دين الله واني لمجبرهما على ذلك . فقال له النبي ﷺ : « لا إكراه في الدين »

وفي هذا الباب ما جاء في سورة الكافرون : « لكم دينكم ولي دين » كذلك ما جاء في سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهلَ الكتاب الا بالتي هي أحسن »

ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية

وهانحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة الى دينهم ولا يتبعون

تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يمجها الذوق السليم

وقد أنصف القس ميشون الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم (١)

زد على ذلك أن المسلمين يحملون لعيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يمطرون محمداً وابلاً من اللعنات والسخطات ، الأمر الذي يدعونا الى الدهشة والغرابة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والاحسان !

بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسامح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أُغسْطين st. Augustin) الى الحاكم (بونيفاس) وهو يبرر له فيها اضطهاد المخالفين وقتلهم متذرعاً لذلك بأن الديانات الاخرى تفعل مثل ذلك قائلا انه لخير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك « لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحداً ، فانما هي لا تقدم على ذلك الا مدفوعة بعاطفة المحبة . . » ! فما أعظم محبة الكنيسة ! وما أكرمها لأولئك الملايين الذين راحوا ضحية « القديسة » محاكم التفتيش .

---

(١) نقلاً عن الكونت دي كاستري Comte de Castries في ابحاثه عن الاسلام

(٢) عظة الجبل . الانجيل ، الاصحاح الخامس وما بعده

وضحية القديس بارتلمي وغيرهما من « القديسين والقديسات » الذين يستبيحون المذابح والمجازر البشرية

* * *

ثالثاً — العلم

رفع النبي محمد قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم . وفي ذلك يقول : اطلبوا العلم ولو بالصين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العبادة [١]

وقد نظر المسيو (كازانوفا) أحد كبار أساتذة كوليج دي فرانس بباريس في هذه الكلمات الغاليات كيف يقولها أحد أصحاب الديانات فعلق على ذلك يقول : « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون تمثّل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة . فأي رئيس ديني كبير وأي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي الفاصل المتين ! هذا القول الذى هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم ان هذا هو مبدؤنا اليوم ولكن أليس العهد بقريب يوم كانت الكافة عندنا من أهل العقول تنظر الى مثل هذا الشعار كأنه رمز العار ومجلبة الشنار . ! !

كما أنه سوف يقال ان أوضح مباديء الحرية الفكرية قد

---

(١) الجزء الاول من كتاب الاحياء للغزالي - ر . ر .

كسفت أمثال (لوثير) و (كالڤين) وعاد الفضل فيها الى رجل عربي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام »[1]

***

رابعاً — الخمر

ذلك هو الداء الفتاك وهو أحد الأمراض الاجتماعية الوبيلة في عصرنا الحاضر . على أن محمداً هو الشخص الوحيد الذي أحس بالأثر السيء الشديد للخمر في النفوس فحاربه حتى حرّمه تحريماً تاماً وقد فاز في ذلك فوزاً كبيراً[2]

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمرُ والميسرُ والانصابُ والازْلامُ رِجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقعَ بينكم العداوة والبغضاء في الخمرِ والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ـ سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخالف الدين في تحريم الخمر تحريما قاطعا . غير ان الكثيرين من هؤلاءِ قد تركوها ثم تابوا وأنابوا وهم لم يفعلوا ذلك الا بتأثير الدين نفسه وبما جاء فيه من النهى عن الخمر والامر بالتحريم . في حين أننا لم

---

(١) عن كتاب (تعليم اللغة العربية)

" L'enseignement de l'Arabe au college de France. " page 10 Par M. Casanova

(٢) اما تجربة الولايات المتحدة في امريكا في تحريم الخمر فلم تظهر نتائجها بعد اذ لم يمض على ذلك الا بضع سنين

نسمع ان أحدا من المسيحيين الذين يدمنون الخمر قد تركوها أو عادوا عنها

ولا يخفى ان الاناجيل المسيحية ذكرت ان المسيح في أفراح (قانا) ملأ من النبيذ ستا من قدر الماء تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين الى تسعين لترا بمكيالنا الحاضر

كما ان الكنيسة قد جعلت (مونيك) الافريقية في عداد القديسات ، مع انها كانت من مدمنات الخمر كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس (أُغسطين) في اعترافاته[1]

***

خامسا ـ الوسيلة

الوسيلة هي احدى كبريات المسائل التى فاق بها الاسلام جميع الاديان ، اذ ليس بين الله وعبده وسيط وليس في الاسلام قساوسة ولا رهبان

ان هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الاديان . وانهم لكذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان اخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . ألم يطرد « بائعى الهيكل » !؟ غير ان أتباعه لم يفعلوا مثل مافعل . واليوم اذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائعى الهيكل !!

كذلك ما أكثر البلايا والمصائب بل ما أكثر المذابح والمجازر التى يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات

---

(١) عن الدكتور بينه سنجليه ، في كتابه ، جنون يسوع ،
La folie de Jesus . Par Dr. Binet Sanglé.

و بعضها أو بين الشعوب والشعوب . وهم في ذلك كله يصيحون : باسم مجد الله !!

ثم انهم قد عكسوا الآيات و بدلوا النيات ، وغيَّروا الاوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيل العالى ولا فهموا معناه الحقيقى حين يقول : « جئت لالقى ناراً على الارض . فما ذا أريد لو اضطرمت ؟ أتظنون انى جئت لاعطى سلاماً على الارض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الاب على الابن والابن على الاب . والام على البنت والبنت على الام »[1]

وقد حرَّم الاسلام نظامَ هذه القداسة ومحا الولاية فنفى بذلك تلك الخرافات الضارَّة والمعتقدات الفاسدة . وازال آثارها ونتائجها

وليس للمسلم أن يدعو الرسول ويتضرع اليه ، وانما له أن يدعو الله وحده لاشريك له . وقد يكون للمسلم أن يدعو الله للرسول ، ولكن لايدعو الرسول لله ولا لذاته

كذلك يحرّم القرآن الشفاعة وينكر الشفعاء . ويوم القيامة لاتسأل نفس إلا عن نفسها

وأما مانراه من الزوايا وأضرحة الأولياء فان ذلك لم يقم الا بعد الهجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية ، على ان ذلك لم يقبله العبيديون كما الغاه الوهابيون أخيرا من مكة

(١) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر . ٣٩ — ٥٣ .

والمدينة وما اليهما

***

سادساً ـ الإله

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلاً بشرياً ، أو ما الى ذلك من الاشكال

أما في المسيحية فان لفظ « الله » تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال ـ فمن تجاعيد بالوجه غائرة الى لحية بيضاء مرسلة مهملة تثير في النفس ذكرى الموت والفناء

ونسمع القوم يصيحون « ليحى الله » Vive Dieu فلا نرى للغرابة محلا ولا نعجب لصيحتهم وهم ينظرون الى رمز الابدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخا هرما قد بلغ أرذل العمر . فكيف لايخشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لايطلبون له الحياة ؟

كذلك (ياهو) [1] الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودى فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المتهالكة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الاناجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حدّث عنه القرآن فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته إزميل . ذلك لان (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الاحد الفرد الصمد لم يكن له كفواً أحد

---

(١) - Jehovah - (ياهو) اى الله . وهي الاصل العبري - ر . ر

وقد يقال لنا ان تلك الصورة التى وصفناها والتى يمثل بها المسيحيون الآلهة عندهم هي مما لا يرضى عنه أهل التدين السليم منهم . على اننا لو سلمنا بهذا الاعتراض جدلاً فماذا هم قائلون وليس في الكنيسة كلها إلا صلاة واحدة وقصيرة يخصون بها الاله « الاب الازلى الدائم » !!

وأما الابن والام وزوج الام والصلب وقلب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والتماثيل ذات الاحترام والاجلال . وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لاصنامهم التى تمثل معبوداتهم

***

سابعا ـ علوُّ الهمة

قال رسول الله ﷺ : علو الهمة من الايمان

وذلك انه لما كانت الشريعة الغراء قد ساوت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم تجعل لاحد منهم فضلاً على أحد الا بعلو الهمة في مكارم الاخلاق وبالنبل وبالذكاء . وفي هذا فليتنافس المتنافسون

وأما ماجاء في الانجيل من قوله : « من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً . » فذلك ضرب من ضروب الحطة بالنفس والنزول بها والذهاب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمنى لاهل السوء والخباثة في أن يظهروا ويسودوا

وفكرة التسليم هذه والتساهل في شأن النفس وعدم الاخذ لها بالشدة ترجع الى أصل هندي . ولذلك تسكن في طياتها تلك

الاسباب المتأصلة التى اخضعت الهند الكبيرة لنير انجلترا الصغيرة ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يعملون بأوامر المسيح في عظة الجبل من السكون وعدم التعدى

***

ثامناً ـ المساواة

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهي النظرية التى لم تأت أخيرا إلا على يد الثورة الفرنسية

وهذا بلال الحبشي أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين فكان العرب ، وهم من الشعوب التى تفخر بالاجداد والانساب ، تسمع له وتسعى الى الصلاة اذا ما اذن فيهم هذا العبد الحبشي

***

تاسعاً ـ الفروسية

ان الفروسية ونبالة قصدها لم يكن يعرفها الأقدمون من اليونان والرومان ولكنها كانت معروفة عند العرب أيام جاهليتهم ثم هذّبها الاسلام وطهرها تطهيرا . وعلى يده دخلت أوربا ووصلت الينا نحن الغربيين . ولم يبق أحد اليوم ينكر نسبتها الى العرب . وقد ذكر العالم المسيحى المتدين (بارتلمى سان هيلار) في سياق حديثه عن القرآن ـ « ان العرب هم الذين يرجع اليهم الفضل على سادات أوربا وفرسانها في القرون الوسطى في تعديل عاداتهم الخشنة وتلطيفها . ثم تعليمهم رقة العاطفة وتهذيب نفوسهم والرفعة بها الى حيث الانسانية والنبالة . وكل ذلك دون أن يصيبهم ضعف

يُفقد من فروسيتهم وشجاعتهم شيئا . ويخطىء من يظن ان هذا راجع الى المسيحية وحدها رغم مافيها من المزايا والفضائل »

وقد حفظ لنا التاريخ في سجلاته عن فروسية العرب وروحها العالية جميع أدلة العظمة الموشاة بالرقة والتهذيب . وقد ذكر منها الكثير واصف باشا بطرس غالي في كتابه « فروسية العرب المتوارثة »[1] وهو وان كان قبطياً مسيحياً فان لأقواله قيمة عظيمة وهي الرد الصحيح على ما جاء به (پيرون Perron) من الادعاءات والتعصب

يقول واصف باشا : « كان محمد يحب النساء ويفهمهن ، وقد عمل جهد طاقته لتحريرهن . وربما كان ذلك بالقدوة الحسنة التي استنها فوق ما هو بالقواعد والتعاليم التي وضعها . وهو يعد بحق من أكبر أنصار المرأة العمليين ان لم يكن أولهم . فلقد كان بهن رحيما وعليهن حليما . وكان لين الجانب كثير العطف عليهن ، عظيم الاحترام والتكريم لهن . لم يكن ذلك خاصاً منه بزوجاته ، بل ذلك كان شأنه مع جميع النساء على السواء »

فهل نستطيع أن نقول شيئاً من هذا عن الكثيرين من رجال الكنيسة وقد كان يقول أحدهم سان بوناڤنتور St. Bonaventure الى تلاميذه : « اذا رأيتم امرأةً فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً بل ولا كائناً وحشياً . وانما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير الثعبان »

(١) La Tradition Chevalersque des Arabes. page 139 par Wacyf Boutros Ghali

* * *

هذا وعند العرب أحسن قصص الفروسية والنموذج الطيب لها . تلك قصة عنترة بن شداد . ومن الخطأ البين أن يظن بعضهم انها من الحوادث التى سبقت عهد الاسلام أيام جاهلية العرب . كلا ، فان النبي عليه السلام هو صاحب الفضل في الاشادة بسيرة عنترة الفارس الشريف . ولولاه لذهب العفاء على قصته كما ذهب على كثير من فرسان البدو وأبطالهم

توفي عنترة قبل الوحى وكان لمحمد من العمر عشرون ربيعا . ثم رأى النبي في عنترة وسيرته المثل البارز للفارس العربى الذي يمتاز بصفاته وأخلاقه ونبالته عن غيره من الفرسان . وان في ذلك لآية لمحمد ، محموداً لها مشكوراً عليها مذكوراً بها . ذلك ان عنترة بن شداد عبدٌ من أمةٍ لابيه ، وانه تقدم في قومه وتخطى الصعاب التى القتها في سبيله أهواء التحزب للدم وللقبيل . ذلك بما أودع في روحه من شجاعة ونبل ، وما نال من فروسية وفصاحة وشعر . وان محمدا وقد جعل ابن شداد بطلا للفرسان وضرب به مثلا عالياً للفروسية أبان عما في نفسه هو من روح المساواة ونبالة الفروسية [1]

ومما لاشك فيه ان قصة عنترة هي قصة اسلامية فقد وضعها

---

(١) ذكر عن النبي انه قال « ما وصف لي اعرابي واحببت ان اراه الا عنترة » وذلك عند ما سمع قول عنترة :

ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به كريم المطعم

د . ر .

كتّاب مسلمون و مثلوا حوادثها وصاغوا أشخاصها في حلة باهرة أوحت لهم بها الفضائل الاسلامية العالية

ومن ذلك يتبين الخطأ الكبير الذي وقع فيه (پيرون) و (رينان) من اعتبارهما ان ماجاء في هذه القصة هو للعرب قبل الاسلام وانه ليس من عادات المسلمين ولا من أخلاقهم

على أن من كتاب الفرنج من أخذت منهم القصة كل الاعجاب وهذا أحدهم (لامارتين) الشاعر الفرنسى الشهير وهو ممن ساح في الشرق وعاش زمانا في تركيا وسوريا

* * *

عاشراً — مسايرة الطبيعة

لايتمرد الاسلام على الطبيعة ، التى لاتغلب ، وانما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها ، بخلاف ماتفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الفرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لايتزوجون وانما يعيشون عزباء

على أن الاسلام لايكفيه أن يساير الطبيعة وأن لايتمرد عليها وانما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا في اصلاح ونظام ورضا ميسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهُدَى) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولانه الدال على أحسن مقاصد الخير

والأمثلة العديدة لاتعوزنا . ولكنا للقصد نأخذ بأشهرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف

النقد الواسع والذي جلب للاسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة

ومما لاشك فيه ان التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه . لم يكن للاسلام أمام الامر الواقع ، وهو دين اليسر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكما قاطعاً ولا يأمر به أمراً باتاً

والذي فعله الاسلام أول كل شيء انه أنقص عدد الزوجات الشرعيات ، وقد كان عند العرب الاقدمين مباحا دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى « وان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة »

وأى رجل في الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات ! ولذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضعا هو غاية في الرقة والدقة واللطف مع الحكمة

ثم انظر هل حقيق ان الديانة المسيحية بتقريرها الجبرى لفردية الزوجة والتوحيد فيها و تشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهؤلاء مثلا ملوك فرنسا - دع عنك الافراد - الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ،

ان تعدد الزوجات قانون طبيعي ، وسيبقى ما بقي العالم . ولذلك فان ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته ، فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الاغراء بجميع أنواعه . وكان مثلها في ذلك مثل الشجرة الملعونة التي حرمت ثمراتها فكان التحريم اغراءً

على أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهراً تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء - تلك هي الدعارة ، والعوانس من النساء ، والابناء غير الشرعيين

وان هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرف في البلاد التي طُبّقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق . وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية . ومن الأمثلة القائمة على ذلك ما كان من أمر وادي (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التي بهذا الاسم في بلاد الجزائر اذ لم تدخلها الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ . وقد وصل بها الحال اليوم أن أربع بلدان من مجموع كله سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الوبيل

ومما نرويه من هذا القبيل ما جاء في كتاب « الاسلام » تأليف (شمتز دو مولان)[1] انه « عند ما غادر الدكتور

(١) L'Islam. Par Schmitz du Mulin. page 160

«ماڤرو كورداتو» الاستانه سنة ١٨٢٧ الى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة . كما لم يعرف فيها داء الزهري (وهوالسفليس المعروف في الشرق بالمرض الأفرنكي) فلما عاد الدكتور بعدأربع سنين أي سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال . وفي ذلك يقول الصدر الاعظم الكبير رشيد باشا في حسرة موجعة « اننا نرسل أبناءنا الى أوربا ليتعلموا المدنية الافرنكية فيعودون الينا مرضى بالداء الافرنكي » (١)

على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف بعض الشيء من أضرار هـذا التعنت في القصر على زوجة واحدة .. ولـكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة من السيئات . إذن ، اذن ما ذا ؟ اذن أي الأدواء قد خلا تماماً من بعض السميات ؟

على أن الـكنيسة قد أساءت كذلك في مسألة الطلاق بمثل ما أساءت في أمر التوحيد في الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضاً لقوانين الطبيعة

انظر هل أشد من الحـكم على زوجين شابين لم يستطيعا لبعضهما صبراً ، وقد خاب ظنهما في الزواج ولم يدركا السعادة التي طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحـكم عليهما بأن يخلدا يقضيان بقية أيامهما في عذاب ونكد وشقاء ! كذلك اذا كان أحدهما عاقراً أو كان غير كفء لزميله ، هل يحرم الآخر من أن يبني

(١) Nous envoyons nos jeunes gens en Europe pour se civiliser; ils nous reviennent syphilisés.

لنفسه بآخر وأن يقيم له عائلة من جديد !

واننا ونحن في صدد الطلاق لا تفوتنا حكمة التشريع الاسلامي وهو يرى السوء في فوضى الطلاق فيسمع النبي الكريم يقول : « أبغض الحلال الى الله الطلاق »

***

حادي عشر — لغة القرآن

لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم المجامع العلمية أن تقوم بها . ذلك أنه مكّن للغة العربية في الأرض بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول ﷺ الينا اليوم لكان ميسوراً له أن يتفاهم تمام التفاهم مع المتعلمين من أهل اللغة العربية . بل لمَا وجد صعوبة تذكر للتخاطب مع الشعوب الناطقة بالضاد . وهذا عكس ما نجده مثلاً أحد معاصري « رابيليه » من أهل القرن الخامس عشر الذي هو أقرب الينا من عصر القرآن من الصعوبة في مخاطبة العديد الاكبر من فرنسيي اليوم

وان لغة القرآن وان كانت تَمُتُّ في أصولها الى عصور بعيدة قديمة فهي مرنة طيِّعة تسع التعبير عن كل ما يَجِدُّ من المستكشفات والمخترعات الحديثة دون أن تفقد شيئاً من رونقها وسلامتها

وأما ما نراه من المولَّدات التي تستعملها الجرائد العربية بنفس أصولها الأجنبيه فليس ذلك عن ضرورة وانما هو نوع من التكاسل والتهاون والتساهل الذي نجد مثله عندنا نحن الفرنسيين

في استعارتنا الاصطلاحات الخاصة بالألعاب الرياضية عن أصولها الانجلوسكسونية

***

ثاني عشر — فن الزخرفة

لقد شعر القوم بروح الجمال تستهوي نفوسهم ، اذا ما تتلى عليهم آيات القرآن الحكيم . حتى كان من اثر ذلك ان استنبطوا فن الخط واخذوا يكتبون به كلام الله الكريم في اشكال جميلة مزخرفة ذات رسوم وخطوط بديعة الرواء كان لها فيما بعد أكبر الأثر في فن العمارة وفي غيرها من الفنون

***

ثالث عشر — بساطة الصلاة والنظافة

ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية هي ذات بساطة ولطافة ونبالة لم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها. كما أنها لا تدعو الوجوه بالتظاهر والتكلف ، ولا العيون بالشخوص الى السماء واستنزال الدموع التي تذكرنا بالدموع الجليسرينية التي يصطنعها ممثلو السينما في عصرنا الحاضر . حقاً ان الصلاة الاسلامية خالية من تلك الامور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها في غير جمال ولا جلال ولا وقار . حقاً ان الأقوال والحركات التي في الصلاة الاسلامية هي ذات دلالة على الرزانة والهدوء والاطمئنان ، وهي خالية من

مبالغات الورع وتكلفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات ، لأن الله سبحانه و تعالى عليم بما في الصدور و هو الغني العزيز

ثم ان من الامور الغريبة تخصيص وجود الاله في السماء عند دعوته . وهذه الحال تحمل في طياتها الحاداً ، اذ تجعل السماء منفاه ، و تنفي بذلك عنه صفة الوجود في كل مكان

و حركات الصلاة الاسلامية ، فوق تعبيرها التام عما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم بأعظم مزايا الحركات الرياضية . فهي مفروضة الاداء خمس مرات في اليوم الواحد . وكم من شيخ كبير و بدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحي في مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال ما لم يكن قد تريض على ذلك من قبل

أضف الى ذلك حكمة الوضوء الذي يسبق كل صلاة . ففيها للبدن انتعاش و صحة و نظافة ، و النظافة من الايمان

***

رابع عشر — الاذان

يتميز الاسلام في الدعوة الى الصلاة بأن الانسان هو الذي يدعو إخوانه الى تأدية هذه الفريضة . وأن صوت الانسان صوت طبيعي وهو أدعى الى حمل العاطفة الانسانية الصادرة من قلب المؤمن الى إخوانه المؤمنين للقيام بأهم أركان الاسلام من أي آلة صناعية

ومن القلب الى القلب رسول

***

خامس عشر — طابع الاسلام

ان العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير فقد يكون المرء صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر الفكر (١)

وكما أن الاسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المدنيات

وان تعاليم المعتزلة ذات القرابة المستترة والصلة الخفية بتعاليم الصوفية ـ تجد مكاناً رحباً وقبولاً حسناً ورضاء سهلا سواء عند العالم الاوربي أو عند الزنجي الافريقي . وهو الذي يصعب على المرء تخليصه من معتقداته الخرافية ومن معبوداته وأصنامه

وبينما تجد الاسلام يهيج من نفس الرجل العملي في أسواق لندن حيث مبدأ القوم « الوقت من ذهب » اذ هو يأخذ بلب ذلك الفيلسوف الروحاني . وكما يتقبله عن رضا ذلك الشرقي ذو التأملات ورب الخيال اذ يهواه ذلك الغربي الذي أفناه الفن وتملكه الشعر

وللاسلام على النفوس طابع لا يمحى . حتى ان الكونت

---

(١) حر الفكر Libre penseur. ـ ولاتقتضي حرية الفكر ان يكون المرء منكرا

دي كاستري ـ وهو مسيحي متعصب ـ أيقن بهذه الحقيقة وقال تلك الكلمة الكبيرة في كتابه « الاسلام » صفحة ٢١١ « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي ليس فيه مرتدون »[1] وفي الحق لا يقام وزن لأولئك الذين ارتدوا عنه تحت تأثير أنواع العذاب التي كانت تقوم بها محاكم التفتيش الاسپانيولية . ولا أولئك الذين تركوه لأغراض مادية سافلة دنيئة

كما أنه ليس من فخار المسيحية أن تضم في تعدادها أولئك الذين يباعون لها من ولدان العبيد ولا أولئك اليتامى الذين ينشأون من مهدهم نشأة دينية مسيحية

أما الذين يعتنقون الاسلام في وقتنا هذا من المسيحيين وغيرهم ، فانما هم من الخاصة سواء كانوا من الهيئآت الاجتماعية الاوربية أو الامريكية . كما ان اخلاصهم في ذلك لا شك فيه لأنهم أبعد ما يكونون عن الاغراض المادية

هذا ولو أردنا أن نعرف الاثر الحقيقي والطابع الكبير للاسلام على الافئدة والنفوس لوجب علينا دراسة القرآن دراسة تحليلية تامة حتى يظهر قدر العظمة والتأصل في روح العقيدة الاسلامية فيما يتعلق بالمولى سبحانه وتعالى

نعم كنا نود ذلك لولا أنه يخرج بنا اليوم عما وضعناه لأنفسنا من الحدود في هذه الرسالة

---

(1) L' Islam. par Cte. H. de Castries

نقف في تعداد خواص الاسلام عند هذا الحد وإن كانت مزايا الاسلام الخاصة به لا تنتهي بانتهاء هذه النقط الخمسة عشر . على أننا خصصنا من قبل لدراسة ذلك وشرحه احدى مؤلفاتنا المطولة . وإن الذي قلناه هنا موجهاً الى أولئك النفر من أهل المسيحية ذوي النيات الحسنة ليكفي حتماً للدلالة على ما للاسلام من الروح الخاصة به وما له من الأفضلية على المسيحية التي كل ما جاء في انجيلها ـ ما عدا فكرة تأليه المسيح ـ انما هو مستعار أو مأخوذ من اصول دينية قديمة هندية

واننا لنعلم من قبل أن أنصار المسيح لا يخضعون أمام البينة والبرهان بل انهم يعودون الى حجتهم التي يتمسكون بها عند ما يجدون أن البينة قد أفحمتهم ، أو ان الجدل قد عادت نتائجه عليهم . وتلك الحجة هي قولهم : ان الاسلام مهما كانت له من مزايا وخواص فانه من عمل انسان ، أما المسيحية فانها من عمل ابنٍ للاله

وانا نقول لهم بكل بساطة رداً على ما يزعمون ، نقول إن هذه الاولية التي يتباهون بها إنْ هي إلا فرض مأخوذ على علاته وانه لم يستطع رجال الكنيسة المتمكنون ـ ولن يستطيعوا ـ أن يقيموا له من الدعائم ما يثبته

والاسلام كاليهودية رسالة إلهية . وفي الحق إن هاتين الديانتين قد أوحى بهما الله سبحانه وتعالى الى رسول كل من الديانتين بلغته ولغة قومه التي بها ينطقون ويتخاطبون (١)

أما ان الله سبحانه قد « أوحى » الانجيل الى عيسى بلغته

---

(١) نشرت جريدة « السياسة » الصادرة في القاهرة يوم ٧ ابريل سنة ١٩٢٩ حديثا جرى بين أحد محرريها الافاضل محمد افندي خالد . وبين الاستاذ ا . س بهودا المستشرق الذى كان نزيل القاهرة في ذلك الوقت ، جاء فيه عن كتابه « اسفار موسى الخمسة وعلاقتها باللغة المصرية القديمة » مايأتى :

« هل للاستاذ ان يحدثنا بعض الشيء عن الراي العلمي الذى جاء به في كتابه عن علاقة اللغة العبرية باللغة الهيروغليفية ؟ وكيف نشأت هذه الفكرة عندكم ومنذ كم من السنين؟

الاستاذ — كنت قرأت منذ اكثر من ثلاثين سنة بعض آراء يزعم اصحابها ان العهد القديم لم يكتب في زمن موسى عليه السلام وانما كتب بعده بما يقرب من الالف سنة فعنيت بان افند هذا الزعم وقد مكثت قرابة ثلاثين سنة وانا ادرس هذا الموضوع واضطرتنى دراسته الى دراسة كثير من اللغات السامية وآدابها

وقد هدانى البحث العلمي الى تعرف الحقيقة الواضحة وهي ان التوراة كتبت في عهد موسى وكان اكبر برهان على ذلك هو تاثر اللغة التي كتبت بها اللغة الهيروغليفية تاثرا عظيما يظهر في آدابها وفي كثير من قصصها وحكمها

ولكي نظهر العلاقة بين اللغتين بعض الشيء نذكر ان العبريين حين جاءوا مصر لم تكن لهم لغة بالمعنى المفهوم من هذه اللفظة وانما كانوا يلهجون بلهجة كنعانية ، وقد تطورت هذه اللهجة حتى اصبحت لغة . بفضل تاثرها باللغة المصرية القديمة وقد استطعت ان اثبت العلاقة الشديدة بين اللغتين وجئت في كتابي بكثير من الجمل والعبارات التى نقلت من اللغة المصرية القديمة الى اللغة العبرية واستعملت في كتاب العهد القديم مما يدل اكبر الدلالة على تحديد الزمن الذي كتبت فيه التوراة بزمن وجود العبريين في مصر وهو ما يظن فأنه زمن الاسرة الثامنة عشر ، وقد كان علماء الآثار المصرية لايقولون بوجود عبارات هيروغليفية في اللغة العبرية . ولكنهم لا ينكرون وجود الفاظ قليلة فوجود العبارات الكثيرة التي اثبتها في كتابي ينقض هذا الراي ويحدث انقلابا في الآراء العلمية في هذا الموضوع »

ولغة قومه فالذي لاشك فيه أن «هذا» الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو انه باد أو انه قد أبيد . . .

ولهذا قد جعلوا مكانه « توليفات » أربع مشكوك في صحتها وفي نسبتها التاريخية . كما انها مكتوبة باللغة اليونانية وهي لغة لا تتفق طبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التي هي لغة ساميّة . لذلك كانت صلة السماء بهذه الاناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود وقرآن العرب

* * *

ننتقل بعد ذلك الى مسألة أخرى : محمد « النبي » وعيسى « ابن الله » وهي مسأله نجد فيها المؤرخين قد ذكروا بالثناء والفضل ، مع التكريم والتبجيل ، كلا من موسى وداود وسليمان ومحمد . في حين أن مؤرخي المسيح لم يذكروه في الاناجيل بمثل هذا الاحترام والتكريم

ويذكر هؤلاء المؤرخون أولئك الانبياء بأنهم رسل يوحى اليهم من الله ولكنهم مع ذلك بشر يجري عليهم ما يجري على أمثالهم من بني الانسان . ولذلك - وفقاً لهذا الاعتقاد - لا نجد هؤلاء المؤرخين يحاولون شيئاً يخفون به قولا أو فعلا لاولئك الانبياء . على أنهم لو فعلوا ذلك وسمحوا لأنفسهم بالتبديل والتغيير والتحوير في السير لكانوا قد نصبوا أنفسهم رقباء على هؤلاء الانبياء . وهو الامر الذي لا يكون

وان الذي يهم الناس من أمر الأنبياء هو ما جاءوا به من التعاليم التي أوحى بها اليهم . أما جهادهم ضد شهوات النفوس فقد يزيدهم قدراً في نظرنا حتى مع اعتقادنا بضعف النفوس البشرية وخضوعها السهل للمؤثرات المختلفة وإلا فما ذلك الاحترام الذي يستحقه أولئك الرسل والانبياء اذا هم لم يتبعوا الصراط المستقيم الذي جاءوا به ولو كان ذلك في حدوده الواسعة وبمعناه العام ؟ . .

على أن ذكر مواضع الضعف هذه وان كانت نادرة في ما يخص هؤلاء الرسل والأنبياء الا أن المقصود من ذكرها هو التحذير من الوقوع في خطأ « تقديسهم » اذ لو فرضنا على أنفسنا تقديسهم لوجبت علينا عبادتهم . على أن ضعف النفوس متسامح فيه مع « أبناء آدم » ولكنه محظور قطعاً على « رب » أو « إبنٍ » لرب

وهنالك تقوم الصخرة التي يحطم المسيحيون رؤسهم عليها ـ ذلك أنهم يجعلون من النبي عيسى « ابنا » لله

ثم الاناجيل ! ألم يدخل عليها التنقيح والتهذيب في كثير من المواضع التي لم تعرف بعد ! ولماذا أغفل رجال الاناجيل ثلاثين عاما من حياة المسيح دون أن يذكروا لنا عنه فيها شيئاً الا ما اختص منها بالسنين الثلاث الاخيرة

واذا أخذنا بما قيل من أن اثنين من الرسل الاربعة قد ذكرا أشياء عن عهد الطفولة الاولى للمسيح فان هذا الحذف من السنين

بعد ذلك يدعو الى فداحة الامر لانه يترك المجال فسيحاً لجميع أنواع التأويلات والشبهات التي قد يكون أقلها خطراً ما يقال من أن المسيح طول سني حياته الناضجة لم يكن شيئاً مذكوراً ، وإن تصرفاته لم تكن تدل على حياة خارقة للعادة مما قد تنسب الى « ابن » لله

ثم ان المسيحيين لا يستطيعون أن ينسبوا للمسيح ما ينسب عادةً الى محمد من الخلوة للتعبد في الجبل . نعم لا يحاول المسيحيون قول ذلك عن عيسى ، وإلا فأين قولهم ان محمداً بشر من أبناء آدم وان عيسى « ابن الله » ؟ ثم ان الأول على ذلك هو في حاجة الى الخلوة والمناجاة لاتمام رسالته ، وأما الثاني فهو إلهي ذو صلة بالله ، غني عن خلوة ومناجاة

وأمر آخر فات رجال الأناجيل ، ذلك أنه مع عظيم خطر هذه الثلمة في سني حياة المسيح فان الأناجيل لم يناها التنقيح الواجب الدال على المهارة والذكاء ذلك لأن واضعيها ، وهم قليلو الخبرة بعلم النفس ، لم يدركوا أن مايصح ذكره على لسان نبي لايصح أن يقال على لسان ابن لله ، وإلا كان الأمر غريباً شاذاً نابياً . على أن هذا هو ماقد حصل فقد جاءت في أناجيلهم كلمات كثيرة على لسان المسيح يعجب المرء لصدورها ممن كان في منزلته

* * *

فمن أقوال المسيح التي فيها حطة واحتقار لأمه العذراء ما صدر منه في عرس (قانا) : ـ « وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا

الجليل . وكانت أم يسوع هناك ، ودعا أيضاً يسوع تلاميذه الى العرس . ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر . قال يسوع مالي ومالك يا امرأة . . . » (١)

كذلك من أقواله التي تحمل في طياتها اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها لأنه لم يكن موسم التين : « فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً . فلما جاء اليها لم يجد شيئاً الا ورقاً . لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد الى الأبد . وكان تلاميذه يسمعون » (٢)

كذلك من أقواله الدالة على كره الغريب : « واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمني ياسيد يابن داود ، ابنتي مجنونة جداً . فلم يجبها بكلمة . فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٣)

وقوله « الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٤)

كذلك من أقواله الدالة على الزهو والتكبر : « لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية »

---

(١) انجيل يوحنا . الاصحاح الثاني عشر

(٢) انجيل مرقص . الاصحاح الحادي عشر ـ ١٤

(٣) انجيل متي . الاصحاح الخامس عشر

(٤) انجيل متى . الاصحاح العاشر

و أما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا و أبي »[١]

على أن موسى أتى من المعجزات ما هو أعظم وأكثر من التي ذكرها الرسل عن المسيح في أناجيلهم

كذلك من أقواله التي تنم على التفريق والبغض : « جئت لألقي ناراً على الأرض . فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبغة اصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض . كلا أقول لكم ، بل انقساماً . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الام »[٢]

« ان كان أحد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً »[٣]

ومن أقواله التي فيها اعتراف بالجهل : «وأما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن ولا الأب »[٤]

ومن أقواله الدالة على الخوف والغم : « نفسي حزينة جداً حتى

---

(١) انجيل يوحنا . الاصحاح الخامس عشر ـ ٢٤

(٢) انجيل لوقا . الاصحاح الثاني عشر ٤٩ ـ ٥٠

(٣) انجيل لوقا . الاصحاح الرابع عشر

(٤) مرقص . الاصحاح الثالث عشر ـ ٣٢

الموت . امكثوا ها هنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : يا أبتاه ان أمكن فلتبعد عني هذه الكاس »[١]

وله غير ذلك من الأقوال في الخوف مما دعا بسكال الفيلسوف الفرنسي الى أن يقول : ان يسوع يخاف الموت[٢]

ومن أقواله التي تعبر عن اليأس بالموت من عذاب الجسم وذلك وهو مصلوب « . . صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : ايلى ايلى لِمَا شبقتني أي إلهي إلهي لما ذا تركتني »[٣]

***

أما ونحن نعظم المسيح ونحترمه ونرفعه مكاناً علياً فلا نسمح لأنفسنا بالاعتقاد بصحة هذه الأقوال وأمثالها . وهي لا تصح نسبتها الى أحد الانبياء فما بالك بنسبتها الى «رب» ؟ ولكن بما أن المسيحيين ذكروها على لسان يسوع « الغربي » فقد وضعوا بين أيدينا أكبر حجة على أن عيسى ليس ابناً لله ، وانه هو نفسه لم يدع هذه الدعوى الالهية

والواقع انه في حالة يأسه الأخير لم يتوجه الى « أبيه » وانما الى إلهه وربه كي لا يتركه . على أن هذه الجملة بذاتها - وهي من الجمل النادرة التي ترجمت بنصها الذي نطق به يسوع ذاته - لا تبيح بأي حال اقتراف الغلطات المتكرّرة الموجودة في ترجمة

---

(١) متى . الاصحاح السادس والعشرون

(٢) Jesus craint la mort. Pascal

(٣) متى الاصحاح السابع والعشرون ٤٦

الأناجيل اليونانيه

ويظهر أن الغربيين جعلوا من المسيح الحقيقي مسيحاً آخر . وبينما يقاوم مسيح « الغرب » قوانين الطبيعة التي أملاها « أبوه » يقوم مسيح « الشرق » بالخضوع الى أحكام الطبيعة التي سنها الله . كما يزيد على ذلك فيبين لرجاله أصلح الطرق وأقومها داعياً الى الطيب ناهياً عن الخبيث

ومن القصص [1] ما جاء من ان يسوع خرج يوماً مع تلاميذه فرأوا جيفة في الطريق . فأدار تلاميذه وجوههم عنها وأمسكوا بأنوفهم يظهرون اشمئزازهم من أنه كيف يسمح الخالق سبحانه بوجود امثال هذه الأشكال الشنيعة ! فتقدم يسوع وأبان عن اسنان الجيفة قائلاً : انظروا ، ألا تحمدون بياض هذه الأسنان ؟ يقصد بذلك ان يقول انه كما للجمال عيوبه فللقبح جماله ، وانه على المؤمنين ان يبتعدوا عن القبيح وان يتوجهوا بنفوسهم شطر الجمال والكمال ، وان كان الكمال لله وحده

***

ونحن لانستطيع أن نختم بحثنا هذا دون الكلام على تلك الامور الخطيرة التى قررتها الجمعية الوطنية الكبرى بأنقرة في سبيل الاصلاح

---

(١) يقول المؤلف انه سمعها في بلدة بوسعاده بالجزائر

هل مصطفى كمال - وهو الشخص الذي تنسب اليه فكرة الاصلاح هذه - على حق فيما قام به واقدم عليه ، وبالاخص في أخذه بالحركة التجديدية الى ذلك الحد البعيد ؟ وهل الامة التركية والشريعة الاسلامية سينالهما من وراء هذه الحركة قوة أو ضعف ؟

تلك أسئلة لاشك أن المستقبل وحده هو الذي يحمل لنا الاجابة عليها ، والعلم عند الله وفوق كل ذي علم عليم

أما نحن فنبحث هنا - دون تحيز ولا غرض - في الأثر المباشر الذي أحدثه هذا الانقلاب الكبير

وفي ظننا ان الدواعي التي دفعت بحاكم تركيا المطلق الى القيام بهذه التغييرات انما هي واضحة الاسباب غاية في البساطة

فأول كل شيء رأى مصطفى كمال ان الخلافة قد صارت أداة للسوء في أيدي الاعداء فلم يجد بدا من الغائها ، وقد حمد كثير من المسلمين عمله هذا ، وصرنا لانريد خليفةً إلا من كان خليقاً بشرفها وجاهها ، حائزاً على ماتقتضيه مهامها من التمتع في الحكم باستقلال تام وسلطةٍ نافذةٍ . ولذلك نعد من نصحاء السوء اولئك الذين يشيرون على الساسة الفرنسيين المناداة بسلطان مراكش خليفةً لجميع المسلمين وهو تحت الحماية الفرنسية

ثم تلك الحرب الصليبية الجديدة التي أماط اللثام عنها المسيو (أوچين جونج) وأظهر مايكنه اعداء الاسلام له من خطير الدسائس وكبير المكائد ، وانهم يبررون أعمالهم ضد الاسلام قائلين انه مظهر التعصب الديني - تلك الحجة الجوفاء التي لم تعد تذكر أمام

تعصب الغرب الشديد ، عند ذاك لم يجد مصطفى كمال مناصاً من تحاشى هـذه الهجمات ، فبدا له أن يتخذ طريقا آخر غير ما كان يتخذ من قبـل ، رأى أن يفسح المجال لقومه في أن يأخـذوا بالمدنية الغربية ما استطاعوا حتى الزمهم تبديل لباسهم واتخاذ الزى الاوربي ، كما فَصَل بين الدين والدولة وأقام لـكل منهما قوانينه

بهذه الحركة الماهرة أشهد مصطفى كمال العالم أجمع على ان كل تعصب دينى بعد اليوم لن يأتى إلاَّ من جانب أهل الصليب . وكأننا به يقول : ها أناذا قد أخليت بلادى من روح التعصب التى تدَّعون وجودها ، فاتركونا في سكوننا ولا تقلقونا فتسلبوننا راحتنا ، وإلا فها أنتم أولاء تثيرون الفتنة باسم الصليب

***

على ان الامر الذي يهمنا في موضوع هـذه الاصلاحات الجريئة هو معرفة قدر الاثر الذي أحدثته في العالم الاسلامى

ان الامة التركيـة نفسها قد سارت بأغلبيتها وراء زعيمها الـكبير ومخلصها العظيم ، ورضيت عن جميع ما أراد لهـا من سياسته الاصلاحية وقوانينه المدنية

أما في بعض البلدان الاسـلامية الاخرى فليس غريبا أن تتسلط الشكوك والانفعـالات النفسيـة على الـكثيرين بالنسبـة لهذه الاصـلاحات وذلك لاختـلاف وجهـات النظر عند الشعوب وللتباين بينهم وتبعاً لظروف المكان والزمان وفي تقـديرنا الخاص ان بطل الاستقلال التركي كان في

استطاعته أن يصل الى نفس النتيجة التى وصل اليها بالنسبة لموقفه السياسى أمام اوربا المسيحية ـ وهي التى لن تنقطع عن أن تكون عدوته الدائمة مهما فعل ومهما تقرب منها ومهما تغرب وتفرنج . نعم كان في استطاعته أن يصل الى غرضه ذاته وأن يقوم في الوقت نفسه بالاصلاحات التى تقتضيها المدنية الحديثة كل ذلك دون أن يخرج عن حظيرة الشريعة السمحة الواسعة ، ولقد يكون مثله في ذلك مثل المصريين وهم يقومون بهذا الاصلاح في كثير من النجاح

وان المغالاة في بعض هذه الاصلاحات والاخذ بها الى حد بعيد المدى قد أفقدت مصطفى كمال عطف الكثيرين من المسلمين الذين أيدوه بحماسة عظيمة في أول عهده ، وهو بأفراطه هذا قد خسر من الوجهة السياسية كما انه لم ينل عطف الاوربيين أنفسهم ، وهم الذين اتخذهم لنفسه الامثلة المختارة والنماذج التى أراد تقليدها ولا يعوزنا البرهان على ذلك ، فان المسيحيين قد وقفوا أمام هذه الاصلاحات الدينية وغيرها التى يقوم بها مصطفى كمال موقف الخوف الممزوج بالغيظ والغضب ، ذلك لانهم أعداء الاسلام من قديم الزمان ، فكل اصلاح في سبيله وكل حركة لتجديد شبابه ، وكل تطور ينقذه من الضعف والجمود ـ كل ذلك لايجد من الاوربيين قبولا ولا تنشيطا ، وانما هم يقابلونه ـ كما قابلوه ـ بالغيظ والحقد والغضب

ما كان الغربيون ليصفقوا سرورا لمصطفى كمال وهو يوقظ المسلمين من سباتهم ! وما كانوا عنه راضين وهو يأخذ بيد

الاسلام من الظلمات الى النور ! وما كانوا له غافرين وهو يظهر الاسلام على حقيقته ويرفع عنه ذلك الستار الذي نسجه الغربيون حوله من مختلف الاكاذيب عليه اذ ينسبون اليه الغموض والتعصب مع انه برىء منهما . وقد وضح الحق كما انه قد ظهر للعالمين موقف الغربيين الحقيقي في الشرق وانهم فيه أهل التعصب والغموض على انهم قد نالوا جزاء ذلك مافقدوا من النفوذ الكبير الذي كان لهم في تركيا ، أخطر الممالك الشرقية الاسلامية ، ولا شك انهم نادمون اذ كانوا يرجون أن تدوم لهم تركيا « الرجل المريض » وان لاتسترجع نشاطها وفتوتها وأن تحيى حياة عصرية تقضى بها ضرورات حسن البقاء

ولما كان الكاثوليك ـ وهم أصحاب الديانة التى كانت آخذه بسنن التطور ، سائرةً متقدمةً أثناء الخمسة عشر قرنا ، والتى تحولت بعد ذلك فصارت اليوم أشد الديانات جموداً وسكونا ـ لما كان هؤلاء الكاثوليك ينظرون الى تطور الاسلام في أنقرة بعين الريبة والبغض والخوف فاننا نرى من سبيل التسلية والفكاهة بعد أن اظهرنا لهم تلك الاسباب السياسية التى دعت الى الاصلاحات التركية ـ نسائلهم ماذا عساهم فاعلين اذا ماجاءهم دكتاتور كاثوليكي له من الهمة والاقدام والشجاعة ما للدكتاتور الاسلامى ؟ ماذا عساهم فاعلين عندما يقول لهم ذلك الدكتاتور المنتظر ان جمود ديانةٍ من الديانات معناه موتها ؟ ماذا عساهم فاعلين اذا ما أخذ بعد ذلك في ازالة العقبات التى تقف في سبيل نهوض الكثلكة وفي طريقها نحو العقيدة الالهية الحقة ، فيلغي التثليث ،

و يمحو البابويه ، و يسرح الرهبان ، و يمنع القرابين ، و يقضى على الكهنوت و ما الى ذلك من مظاهر التقديس الكاذب و فخامة الكنيسة الفارغة و تلك المعجزات المخالفة للعقل و العلم و الدين و . و و ؟ نعم ماذا عساهم قائلين لذلك المصلح الذين هم في أشد الحاجة اليه ؟ و لكن ليس عجيبا أن نتلقى منهم الجواب الذي نتلقى دائما ، فانهم يسخرون من الديانات الاخرى و يهزأون بخرافاتها ثم يقولون « ان الكثلكة هى الحقيقة المطلقة ، فهى لا تقبل اصلاحاً ولا تطلب تطوراً »

حقيقة مطلقة ! أين هي الحقيقة المطلقة في هذا العالم ؟ الواقع ان الديانة الكاثوليكية لا تتحمل البحث و المناقشة فقد اظهرت الادلة العديدة سواء كانت اخلاقية أو تاريخية أو علمية أو لغوية أو بسيكولوجية أو دينية على ان الكثلكة ملأى بالأغلاط الواضحة ولذلك قد يكون من دواعى الاغتباط لأهلها اذا هم اهتدوا فيها ليس على الحقيقة المطلقة ، كما يدعون ، بل على حقيقة نسبية واحدة ، كما يجهلون

وما كان اصدق « سان أغسطين » ، وهو أخبث رجال الكنيسة ، عند مايريد أن يقطع أي مناقشة في عقيدته ، ما كان أصدقه وهو يصيح يقول « إننى مؤمن لان ذلك لا يتفق و العقل »

***

لقد أخذتنا حماسة البحث والمناقشة فساقتنا الى الخروج عن سماحة القرآن التي يأمرنا بها ، فالعفو العفو .

على اننا وان كنا قد دافعنا بشيء من الحدة وهاجمنا في شيء من الشدة فان عذرنا في ذلك هو ان للمسيحيين على الاسلام هجمات تعصبية دائمية لاتنقطع

كما اننا نصرح جهاراً اننا في نقدنا الشديد على المسيحية لم نسلك طريق الهوى والغرض ، وانما اتبعنا سبيل الهدى والحق ، ولم نكن مغرضين متعصبين ولكن معتقدين متفقهين ، واننا نحفظ للمسيح في قلبنا ما نحفظ لاخوانه الانبياء والمرسلين ابراهيم وموسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين ، من آيات الاجلال والاحترام ورفعة المقام الكبير

كما أننا نريد أن نقول كلمة لاخواننا في الدين ، فاننا قد اتخذنا أدق طرق الجدل والنقد الحديثة ، ولذلك تمسكنا ببعض الأدلة التي قد لا يتفق عليها تمام الاتفاق عامة المتشددين من إخواننا المسلمين ، أو انها على الأقل من الأدلة التي قد تختلف قليلا أو كثيراً عما يعتقده البعض منهم ، على أننا لم نفعل ذلك الا تدعيماً لدعوتنا وتركيزاً لأقوالنا

***

وأخيراً نتقدم الى الجميع ، من المسيحيين ومن المسلمين ، أن يغفروا لنا صلابتنا في الجدل وشدتنا في الهجوم ، كما نقرر أنه ليس لنا غرض في التنابذ والشقاق ، وان غرضنا الأعلى ان

يحل الوئام محل الخصام ، وأن يعم الاخاء ويسود السلام

ثم نوجه صريح القول الى إخواننا المسيحيين أن يكفوا عن مناهضة المسلمين اذ هم لا يجنون من وراء ذلك شيئاً طيباً ، كما أننا ندعو عقلاء الفريقين ان يحترم بعضهم بعضاً وان يتقربوا ويتعاونوا في سبيل الأخلاق ومحاربة المادية ومناهضة الالحاد . انهم ان يفعلوا ذلك يحسنون صنعاً ويخدمون الانسانية المعذبة التي هي في أشد الحاجة الى الأخلاق والفضائل

وما أبعد للشحناء ، وأحفظ للدماء لو أن الطوائف الاوربية عملت بتلك الآية التى جاء بها القرآن الشريف « لكم دينكم وليَ دين » ، وصدق الله العظيم

فهرس

صفحة

٣ مقدمة المعرب
٦ صورة المؤلف
٧ ترجمة المؤلف
١٠ أوليّات رسالة الأشعة
١٧ المعجزات
١٩ التسامح والرفق في الدين
٢١ العلم
٢٢ الخمر
٢٣ الوسيلة
٢٥ الاله
٢٦ علو الهمة
٢٧ المساواة
٢٧ الفروسية
٣٠ مسايرة الطبيعة ومسألة الزواج
٣٤ لغة القرآن
٣٥ فن الزخرفة
٣٥ بساطة الصلاة والنظافة

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

٣٦ الأذان
٣٧ طابع الاسلام
٤١ محمد « النبي » وعيسى « ابن الله »
٤٨ مصطفى كمال والاصلاحات الدينية
٥٢ اعتذار المؤلف من شدة هجومه

[redacted]
دينيه ،ناصر الدين
اشعة خاصة بنور الاسلام
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01009635

American University of Beirut

[redacted]

General Library

297.3
D58r A